٩٩/١٩/٤/٢٨

مكتبة الروضة الحيدرية
الرقم ٨٢٤٠
التاريخ ١٥/٢/٢٠١٤

الفكر العربي

مجلة الإنماء العربي للعلوم الانسانية

تصدر عن معهد الإنماء العربي في بيروت

العدد الثاني والثلاثون نيسان (ابريل) - حزيران (يونيو) ١٩٨٣ السنة الخامسة

مستشارو التحرير

د. علي بن الأشهر — د. إحسان عباس — د. شكري فيصل

الشيخ عبدالله العلايلي — د. عمر التومي الشيباني — د. عبدالسلام المسدي — رئيس التحرير

د. مصطفى التير — د. معن زيادة — د. إبراهيم رفيدة — رضوان السيد

المدير المسؤول عوض شعبان

العنوان

معهد الإنماء العربي
بيروت - لبنان

ص.ب المجلة : ١٤/٥٥٦٤ ص.ب المعهد : ١٤/٥٣٠٠

الهيئة القومية للبحث العلمي
طرابلس ص.ب ٤٠٨٠
الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية

الثمن : ٢٠ ل.ل. أو ما يعادلها

مرآة الاسلام:

المسلمون والمسيحيّون في العصور الوسطى (★)

آلان دُوسيليه

مراجعة د. حسن عبد الرزّاق

ميشيل دوسيلييه (Michel Ducellier)، أستاذ محاضر في جامعة Toulouse - Le Mirail أخصائي في التاريخ المقارن للدراسات الشرقية، كاتب أطروحة حول ألبانيا البيزنطية وما بعد البيزنطية، لم يستطع سوى الاهتمام بهذا المجال الغريب، هذه العلاقة الغامضة، ذلك الحوار بين المسلمين والمسيحيين وتجابههم خلال تلك القرون الخمسة (من القرن السابع حتى القرن الحادي عشر).

بعد موت النبي عام (٦٣٢)، خضع الشرق ـ الأوسط المتوسطي لأمبراطوريتين متنافستين، الأمبراطورية البيزنطية وهي وريثة امبراطورية الشرق الرومانية، ومملكة الساسانيين الفارسية.

بعد قتال بلغ أوجه في القرن السابع، مع فتح الفرس لمصر وسورية وفلسطين، بدت بيزنطة التي يحكمها هيراقليوس (Heraclius) [٦١٠ ـ ٦٤١] قد ربحت المعركة بشكل جذري: إذ كان الساسانيون قد أُبعِدوا إلى منطقة نفوذهم التقليدية (بلاد ما بين النهرين ـ وإيران) ولم يعد لديهم أي منفذ على البحر. واستولى البيزنطيون على كل شواطىء البحر المتوسط من اسبانيا حتى مصر، ومن فلسطين حتى ايطاليا. أصبحت بيزنطة قوة مسلماً بها في الوقت الذي دخل الفرس مرحلة من الصراعات الداخلية. وعند بدء الفتح العربي، كانت هذه الامبراطورية البيزنطية، التي تمتلك القوة العسكرية، خاضعة إلى سلسلة من التوترات المتأججة والتي هي قبل كل شيء لغوية (اللاتينية، القبطية، السريانية، العبرية)، دعّمت هذه التوترات التقسيمات الاجتماعية ـ الاقتصادية، التي كانت بدورها تنم عن خلافات دينية: النسطورية والمؤمنون بالطبيعة الواحدة monophysisme

إن طريقة تجميع النصوص التي يتناولها دوسيلييه في الفصول الثلاثة الأولى، تحاول أن ترى أولاً ردة فعل الشعوب المقهورة في ارمينيا ومصر وسورية ـ بلاد ما بين النهرين. أما الفصل الرابع، فيغطي مجادلة المسيحية السورية والاسلام.

(★) Le Miroire de l'Islam-Musulmans et Chrétiens au Moyen Age (VIIe-siècle) présenté par Alain Ducellier Collection Archives-Editions Julliard, Paris 1971, (313 pages).

يتناول الفصل الخامس الانطباع البيزنطي عن الامبراطورية الاسلامية، ويبيّن الفصل السادس المجادلة بين بيزنطية والاسلام. أمّا الفصل السابع، فيتناول موقف بيزنطة من الاسلام. ويبيّن الفصل الثامن والأخير «الوضع الراهن» القائم قبل الحروب الصليبية، ووحدة المجتمع الشرقي بالرغم من أفراده المتفككين والمتعارضين. بالنسبة لأرمينيا، تبين حولية (Seert) على سبيل المثال، كيف أن فهم الاسلام المحبب يقود بسهولة إلى القبول بفكرة الخضوع إلى العرب. إذ لا يكفي أن العرب ليسوا كفاراً فقط بل بسرعة تمّت معرفة أنهم أيضاً غرباء عن الطوائف المسيحية كلها بشكل متساوٍ، فلم يكن يهمهم أبداً أن يضطهدوا واحدة من تلك الطوائف أكثر من الأخرى. لقد كان الهراطقة الشرقيون من مؤمنين بالطبيعة الواحدة ونسطوريين قد خضعوا منذ قرنين إلى إزعاجات الكنيسة الأورثوذكسية، التي تمثل بالنسبة لهم الأمبراطورية البيزنطية. إضافة إلى ذلك، كان التمركز الصلب للقسطنطينية، غالباً ما يزعج الارستقراطيات المحلية، وخاصة في أرمينيا ومصر دون أن يرضي لأجل ذلك شعباً بائساً لم يكن لديه ما يخسره إذا تغيَّر سيّده. نجد هنا أعراضاً مرضية خطيرة من التفكك، دينية واجتماعية، تفسر بأي سهولة استطاع العرب أن يقيموا في الولايات الشرقية للامبراطورية. مع ذلك هناك أيضاً شعور عام بل حقيقي بوجود طائفة مسيحية، وهو الذي يفسر الحركات العفوية خاصة الشعبية منها التي قامت ضد الاسلام.

خلال قرنين تليا الفتح، تعلّم المهزومون معرفة المنتصرين، وفي الوقت نفسه الذي كانوا قد وعوا فيه بشكل أفضل كل ما يفصل بين الطائفتين، أصبحت الانتقادات لاذعة أكثر فأكثر، وكانت تصبح أحياناً فظة. ولكن هناك حدثين أكيدين: كان يشوب الانتقادات بعض التسامح، وحتى بعض المديح؛ وكانت الشعوب الأقل خضوعاً هي بشكل عام الأكثر عنفاً.

كما أرمينيا، فمصر ولاية منعزلة، لا تمت إلى الغرب برابطة عرقية، مع ذلك، هناك فارق رئيسي إذ إنها فُتحت بسرعة وبشكل كامل. إضافة إلى ذلك، لا يبدو أنه كان للارستقراطية فيها الأهمية نفسها التي تتمتع بها في الخارج. إذن، إن موقف الأقباط تجاه الاسلام مختلف تماماً عن مواقف الأرمن. فعندما انتهى الغزو، كانت هناك تسوية مرضية للطرفين، وافق عليها الأقباط نوعاً ما. تحتوي نصوص الفصلين الأولين على مقاطع من Sebêos و Jean de Nikious و Baladuri وأبي يوسف يعقوب (Aby yusuf ya'qub). وكذلك على الحولية النسطورية المجهولة التي نشرها Guidi. ويشكّل Ghevond و Eutychius، وحولية Denys de tell - Mahr و Bar - Hebraeus و Baladuri، النصوص التي تتكلم عن وجهة النظر العربية ـ السورية تجاه الإسلام، إذ يبدو أن المسيحيين والمسلمين كانوا قد عاشوا بجوار بعضهم البعض، وتعارفوا أحسن تعارف، إن لم يكونوا تفاهموا أفضل تفاهم. وقد ظهرت المناقشات المذهبية الأولى التي جعلت هاتين الديانتين متواجهتين، حول دمشق في ظل الخلفاء الأمويين، الذين كانوا بشكل عام، منفتحين جداً وفضوليين جداً لمعرفة كل ما يحيط بهم. في الحقيقة، كان المسيحيون يعتقدون أنهم ضرورة لا غنى عنها خلال القرن الأول للاسلام، وقد دعمهم المسلمون في هذه الفكرة مستخدمينهم لثقافتهم المتفوّقة، في جميع مستويات الإدارة. إن النماذج الثلاثة الأكثر شهرة هي: منصور بن سرجون وابنه سرجون بن منصور وحفيده الصغير القديس، يوحنا الدمشقي (Jean Damascène) إذ شغل هؤلاء الثلاثة مراكز هامة في خزينة الدولة الأموية.

ليس هناك الكثير من الكلام عن عقدة التفوّق أو الاحتقار الهادىء، بل يجب على الأخص رؤية صعوبة المجادلة التي كانت تدور، من جهة لأن العقيدة الإسلامية المستخلصة ببطء من القرآن الذي لم يكن بعد مشروحاً

بشكلٍ وافٍ، ما تزال غامضة؛ ومن جهة أخرى، لأن المسيحيين ما يـزالون بـالـرغـم مـن كـل شيء يفتقـدون المعلومات الصحيحة، ولا يتناولون سوى مظهـر الديـانـة الخارجي، الطقسي والأخلاقي.

في الحقيقة، إن محاورات القـديس يـوحنـا الدمشقـي (Saint Jean Damascène) أو تيـــودور أبـــو قـــره (Théodore Abu Qurra) يمكن أن توصـف بـالمحاورات المدرسية التي تشوِّه الحقيقة، ولكن أهميتها تأتي من هذا الشعور الغريب بالحرية.

لقد اعترضنا في الحقيقة على عزو الفصل الذي يتكلم عن الإسلام إلى دراسة للقديس يوحنا الدمشقي عن الهراطقة، ولكننا نستطيع جيداً أن ننسب له البرهان الشهير، إذ ما وافق المسلمون على ذلك، في أن المسيح كان كلمة الإله وروحه؛ إذن، إذا لم تكن الكلمة هي الإله، هذا يعني أن الله جُرِّد من الكلمة. نجد هنا أيضاً، بروز التأثر بالمعتزلة. مجادلات حول القضاء والقدر أو الخيار الحر. كذلك، نرى المجادلين المسلمين يقرأون الكتاب المقدس كي يأخذوا منه براهين ضد المسيحيين. إن الثقافة في ذهاب وإياب: فقد ظهر مـؤسس القـدريـة **معبـد الجهمـي** كتلميـذ لأحـد المسيحيين في العراق، بينما كـان منـافسـه الرئيسي **غيلان الدمشقي** مسيحياً مهتدياً. لقد ملىء هذا العصر بدراسات لـ **بـالادوري** (Baladuri) والمقـــدّسي (Muqaddasi) وتيودور أبـو قـره (Théodore abu Qurra)، ويـوحنـا الدمشقي والذهبي في (كتاب ميزان الاعتـدال)، واستنـد (أي العصر) إلى مراجـع مـــن أعمال ا. خـــوري (A. Khoury) وبيترز (Peeters) في (آلام القديس ميخـائيـل السبئـي) و لاووســت (H. laoust) (الانشقـــاقـــات في الاسلام)، وفريتش (E. Fritsh) (الإسلام والمسيحيون في العصور الوسطى).

بينما كان المسيحيون الشرقيون يكتبون عن العرب منذ أكثر من قرن ونصف القرن، لم يقل البزنطيون شيئاً حتى السنوات الأولى للقرن التاسع، وهو التاريخ الذي كُتبت فيه حولية تيوفان (Théophane). في الحقيقة، لقد ترك القرن الثامن البيزنطي القليل من المصادر، حتى أننا لم نعرف الكثير عن تاريخ الامبراطورية. ولكن هناك حدث أكبر نعرفه، هو أن البيزنطيين لم يتأثروا كثيراً عند خسارتهم لولايات الأمبراطورية الشرقية، إذ كانوا يعتبرون سكانها هراطقة وخونة.

كذلك، نرى أن المؤرخين البيزنطيين متحفّظون جداً عندمـا يَرْوون الفتـح العـربي للشرق الأوسـط: يخصّـص تيوفان لهذا الموضوع أربع صفحات، وينجزه سيدرينـوس (Cedrenus) بعشرة أسطر. إن الحروب العربية ـ البيزنطية في القرنين التاسـع والعـاشر، تتطلـب منّـا دراسـات واسعـة ووافرة. كانت الأورثوذكسية مستهدفة، وكان موضـوع الفتح العربي القديم قد أصبح كلاسيكياً في بيزنطة. فهناك اختلاط في المصادر وإعادة نسخ لها، كما نرى ذلك عند تيوفـــان أو عنـــد قسطنطين البرفـــوري (Constantin Parphyrogenéte). وغالباً ما نرى لجوءًا إلى مصادر عربية مترجمة مباشرة. إن كـل هـذه المعمعـات لا تمنـع مـن تقـديم المعلومات السياسية الصحيحـة، والمعـرفـة الجيـدة للبنـى السيـاسيـة، بـالـرغـم مـن وجـود الغمـوض في استعمال المصطلحات.

نقدم المقاطع المأخوذة من كتب لتيـوفـان ونيسيتاس البيزنطي (Nicétas de Byzance) المتصلة بأعمال تيـوفـان وقسطنطين البرفـوري في كتـابـه (De Administrando Imperio)، تقدم إلى الكاتب نماذج عن الانطباع البيزنطي عن الأمبراطورية الاسلامية.

لقد اتسمت العلاقات بين البزنطيين والمسلمين بوجود تيارين/الأول منهما صارم و «رهباني» لا نرى فيه سوى كافرين، حرب مقـدسـة، وانتصـار الايمان بين تيـوفـان ونيسيفـوت فـوكـاس (Nicéphote Phocas). إن نموذج الجزء المهتدي من كريت (La crête) يقدم للأنتلجنـ با

البيزنطية براهين أخرى: شعب متمدن، خصوم شجعان، انتصار بدون قتل. في الحقيقة، ليس هناك سوى خطوة من أجل التعايش والتفاهم لخير الجميع: علاقات دبلوماسية، تنافذ على الحدود واهتداءات فردية. في الواقع، ليس هذا سوى خليط عجيب من السحر والحذر، من الاعجاب المتبادل أحياناً ومن الانزعاج.

يسود هذه الفترة أدب معقد، لم يُدرس بشكل جيد مع نقيضه الاسلامي: إن نيسيفور (Nicèphore) في كتابه (Breviarum)، وأغابيوس دو ماندجيب (Agapios de Mandjib)، وليون النحوي(Léon le Grammairien) وسيدرينوس (Cedrenus) ونيكولاس الزاهد، هم الأسماء الأساسية.

لم تكن هناك مجادلة بين بيزنطية والاسلام حتى القرن التاسع، فقط كان لمسيحيي الأمبراطورية الاسلامية الناطقين بالضاد بشكل عام، المعرفة المباشرة بالنصوص الاسلامية المقدسة. كانت هذه المعرفة، كما تعلم، ما تزال جزئية جداً: فلم يترك لنا القديس يوحنا الدمشقي ولا تيودور أبو قره (Théodore Abu Qurra) رواية حقيقية عن النبوة، ولا حتى عرضاً منهجياً للقرآن. في الواقع كان ذلك يبدو لهم شيئاً غير مفيد، لأنهم عاشوا في وسط انتشر فيه الكثير من الأفكار العامة حول الاسلام. على العكس من ذلك، بالنسبة للبيزنطيين الذي لم يعيشوا على اتصال مباشر بالمسلمين، سيشعرون بسرعة بالحاجة للبحث عن أساس العقيدة الأسلامية التي هي، حسب اعتقادهم، إحدى العوامل الأساسية للاعتداء الذي كانوا هم ضحيته: لم يكونوا قريبين جداً، كي يحكموا على الأشياء السطحية، ولم يكونوا بعيدين جداً كي يبالغوا ويشوّهوا المعطيات؛ إنهم أولئك الذين أعطونا الصورة الأكثر صحة عن الاسلام، في العصر الوسيط. إن تيوفان، وجورج الراهب، ونيسيتاس البيزنطي (Nicétas de byzance) جميعهم، وعلى الأخص هذا الأخير، يعرفون القرآن معرفة جيدة تقريباً وقد قدموا عنه تفسيراً جدلياً. وإذا ما تذبذب البيزنطيون، يبقى المسيحيون الشرقيون كما هم عليه في القرن الثامن، مقسمين بالعمق، إلى حد أنهم أمام الفتح البيزنطي الجديد لن يتحزّبوا دائماً مع المسيحيين. في الواقع، كان هناك شكوى دائمة من الاضطهادات، ولكن المؤمنين بالطبيعة الواحدة (Monophysistes)، المحرومين دائماً من الحظوة، هم الوحيدون الذين بقوا حادّين. إن تاريخ بطاركة الاسكندرية الأقباط الذي كتبه في القرن الحادي عشر ساڤيروس ابن المقفى (Sawirus Ibn-Muqaffa) من خلال وثائق قديمة، يبيّن حقد الأقباط العميق. لذلك، كانت شكاوى المؤمنين بالطبيعة الواحدة الأرمن حادة أيضاً ومرتبطة بموجات الاهتداء إلى الاسلام. على العكس من ذلك، إن مصادر الملكيين (Melkites) متحفظة جداً. إذ يقتصر أوتيشيوس (Eutychius) على الإشارة إلى تدمير بعض الكنائس، والظلم في فرض الضرائب التي اتسم به عهد المقتدر. وفي الوقت الذي تفرض بعض الاختلافات معاملة مختلفة من قبل المنتصرين. يُحرم الملكيون أحياناً من الحظوة: إذ يسحقهم الأقباط حتى حكم هشام بن عبد الملك؛ ولكنهم يحصلون بعد ذلك على حظوة الخليفة. ومنذ ذلك الحين، تتوثق بين المسلمين والمسيحين علاقات، قامت رغماً عنهم، وبتآلف فريد. ليس في ذلك ما يدعو إلى الدهشة، لأن التفاهم بين المسيحيين والمسلمين وصل في مصر إلى حد القيام بصلوات مشتركة. يبلغ الملكيون (melkites) أحياناً مناصب هامة، تسمح لهم بإعطاء الأوامر إلى المسلمين، وبالمقابل، يدافع المؤمنون بالطبيعة الواحدة عن أنفسهم بمهاجمتهم الحادة للأورثوذكس، الذين يتهمونهم بإجبارهم على القبول بالسلطة الاسلامية. خصومات لا نهاية لها بين الملكيين والمؤمنين بالطبيعة الواحدة؛ ولكن عندما تبدأ بيزنطية بالفتح الجديد في القرن العاشر والحادي عشر، لا يبدو المسيحيون متحمسّين لاستقبال بيزنطية، مع أنهم يعانون من اضطهادات متفرقة؛ ويبدو أنهم مفتخرون بالسيطرة الاسلامية، التي يستفيدون منها أحياناً، بما فيهم

المؤمنون بالطبيعة الواحدة. أمَّا بالنسبة للملكيين، فلماذا كانوا يفضلون الليبرالية الاسلامية تحت الرقابة البيزنطية الدقيقة؟ إضافة إلى ذلك، يثير هذا الفتح لدى المسلمين كره المسيحيين، المشتبه، بتواطئهم مع اليونانيين. وإذا ما انتظر البزنطيون أن يُرَحّب بهم على أنهم المنقذون، فإنهم يخطئون تماماً، إنهم لن يجدوا سوى الكره من الهراطقة والسلاجقة (Seldjoukide). يفضل ماتيو ديديس (Mathieu d'Edesse) التركي على البيزنطي مثلاً، ويفكر من جهة أخرى أن الحروب الصليبية ليست أفضل من الفتح البيزنطي الجديد.

كذلك، لقد ساد إبان اشتعال الحروب الصليبية الغربية عدم تفاهم شامل بين الأطراف الثلاثة: فالغربيون لا يفكرون سوى بفتح جديد، اهتداء أو إبادة كاملة، دون أن يعرفوا شيئاً عن الحقيقة. أمَّا البيزنطيون، فقد توصّلوا بالرغم من كل شيء إلى تسوية مرضية للطرفين مع الاسلام، طالما أن الأرض اليونانية غير مهددة. ولم تعد تؤثر بهم كثيراً فكرة تخليص الأماكن المقدسة، لم يكن لحروب القرنين التاسع والعاشر أية مطامح دينية، سوى في عهد نيسيفوت فوكاس (Nicéphote Phocas).

يشتكي السوريون والأرمن والمصريون من الاضطهادات، ولكنهم في العمق مستسلمون لها، وأقل ما يمكن قوله إنه غالباً ما يطفح الكيل من السلطة الاسلامية، ومع ذلك لم يكونوا يتمنون رؤية «إخوانهم» اليونانيين أو اللاتينيين قادمين لنجدتهم.

في الواقع، لم يعد الخلاف الأساسي منذ ذلك الحين بين مسيحيين ومسلمين، ولكن بين غربيين وشرقيين. إن الصراعات بين اليونانيين واللاتين التي تبلغ أوجها مع مجيء الحروب الصليبية (١٢٠٤) ستزيد الهوة إتساعاً وسينتهي سلب القسطنطينية بأمنية لدوكاس «إن عمامة التركي لها قيمة أكبر بكثير من التاج اللاّتيني».

[مقاطع من نصوص لـ جان الكاثوليكي وأوتيشيوس Eutychius ويحي دي أنتيوش Yahya d'Antioche وميشيل السوري وماتيو ديديس]

وعندما ينتهي الكتاب (إن نقدي ليس أيضاً سوى تجميع لأجزاء من الكتاب، متبعاً طريقة دو سيلييه)، يبقى هناك خليط غريب من عمل ناقص، من أجزاء مبعثرة، دون أن يتدخل فيها تركيب واضح أو أن يستخلص منها أية فكرة واضحة حول هذا الموضوع، رغم كونه جديداً. ودون أن يلقى عليه أية أضواء جديدة، ربما نستخلص درساً ما، إن لم تكن فكرة واحدة تاريخية ـ سياسية (انجزت نقط في ثلاثة أسطر في المقطع الأخير من الفصل الاخير). وحده الطائفة الشرقية (حيث لا شيء في الحقيقة يبرِّر هذه الموازنة عبر المجازر المستمرة بين الطرفين).

إن الكاتب، وهو المختص في هذا المجال، يرى في بيزنطية، بنية كثيفة وموحدة، قادرة على التماثل في مجموعة بصورة سهلة أكثر من الكيانات الاجتماعية ـ الدينية الشرق ـ متوسطية المبعثرة، حيث أن تحليلها المفصَّل من بعيد، يصبح أكثر تعقيداً واتساعاً.

إنه من الصعب التعميم في التحليل العلمي للنص. وربما يكمن السبب هنا: كتابٌ يعتمد على المراجع بشكل كبير، دون توضيح للقارىء غير المختص بالتاريخ (ليس هناك أي لائحة بالأسماء المذكورة، «توجه فهرسي» سريع) أما بالنسبة لمؤرخ مختص. فهناك تجميع حذق للنصوص، ولكنه بالرغم من حذاقته واتقانه يفتح دائماً طريقاً لاختصارات سريعة ومسرفة.

(١٩٢٦ و ١٩٢٩) محاضرات في جامعات القاهرة (وهو شيمة أبيه في عصره، أعطى محاضراته بالعربية الفصحى، الأمر الذي كان يرمز للاندماج باللغة)؛ وكان المشروع الكبير في حياته وضْعَ **تاريخ العرب وثقافتهم** الذي ظلّ يعمل عليه حتى وفاته، الذي لم يخرج منه سوى جزءٍ واحدٍ بعد مماته.

جيورجو لڤي دلا فيدا (١٨٨٦ ـ ١٩٦٥)

استاذ العربية واللغات السامية المقارنة في جامعة روما. قام بأعمال هامة حول اللغات السامية، واهتم اهتماماً موسعاً بالآداب العربية والإسلام.

فرانسيسكو غابريللي

ولد عام (١٩٠٤)، تولى كرسي اللغة والآداب العربية في جامعة روما. مترجم دقيق وفعّال، متخصّص في الشعر العربي والتاريخ الإسلامي. بعض عناوين أعماله:

- ترجمة بويطيقا لأرسطو بالعربية.
- الشعر العربي وأثر نظرية أرسطو وشروح ابن رشد.
- مخطوطات الفردوسي الفارسية في إيطاليا، بالتعاون مع غيسيب غابريللي.
- أثرُ ألف ليلة وليلة في الآداب الاوروبية.
- ظلال وأنوار مي زياده.
- الإسلام والمسيحية.
- تاريخ الإسلام وحضارته عند بوشيه ـ شاستيل.
- ترجمة كاملة لألف ليلة وليلة.
- تاريخ الأدب العربي.
- التاريخ الحديث للشعوب العربية.
- العرب.
- المؤرخون العرب للحملات الصليبية، تورنتو (١٩٥٧).

ماريا نالينو

ولد عام ١٩٠٨، ويمكن القول حقاً إنها بنت أبيها، إذ قامت بعمل كبيرٍ في البندقية.

ألدو ميلي

اهتم بتاريخ العلوم عند العرب، وقام بعمل جادٍ ومنتظم.

* * *

تدريس العربيّة في ايطاليا

هناك في إيطاليا أربعة كراسي للعربية مع أساتذة بكرسي: روما، نابولي، بالرمو والبندقية.

روما

فيها معهد الدراسات الشرقية التابع لكلية الآداب في جامعة روما. وهو يشتمل على علوم الشرق الأدنى القديم (اجيبتولوجيا، اشورولوجيا، الآثار الشرق أوسطية، تاريخ الفن)، فقه اللغات السامية، العلوم الإسلامية (مع كراسي للعربية واللهجات العربية والدراسات الإسلامية).

ينشر المعهد مجلة «Rivista degli studi Orientali». ويعود تاريخ كرسي العربية إلى «كولجيو دلا سابينزا» الذي سبق جامعة روما ـ وقد افتتحه اللبناني فيكتور العاقوري في مطلع القرن السابع عشر، وجاء بعدَهُ **غوادغنولي ومرّاكشي** اللذين زاملهما ابراهيم الحاقلاني في تدريس السريانية.

أشرف عليه تشيابارلي وغيدي انطلاقاً من قيام المملكة الايطالية. وكان **فرانسيسكو غابريللي** مولعاً بالآداب العربية، متأثراً في ذلك **ببنديتو كروس**، فأدخل فيه طرائقية نقدية جديدة. أما استاذ كرسي الدراسات السامية فهو **ساباتينو موسكاتي** الذي خلف **جيورجو لڤي دلا ڤيدا**.

نابولي

بدأ المعهد الشرقي في نابولي كمعهد صيني، مهتم فقط بالصين، ومنذ القرن الثامن عشر وسّع اهتماماته، فصارت تدرَّس فيه اللغات الأساسية في آسيا وافريقيا. جرى فيه تأهيلان مختلفان: الأول يرمي إلى إعداد الخبراء للعلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية بالتعاون مع وزارة الشؤون الخارجية؛ والثاني غايتهُ اعداد باحثين في فقه اللغات الشرقية.

وكان تدريس العربية قد أُدخل رسمياً عام (١٨٨٩). فدرّس فيه **كارلو الفونسو نالينو** من (١٨٩٤) إلى (١٩٠٢)، ودرَّس بعده، ولبضعة أعوام، **لڤي دلا ڤيدا**، **وفرانسيسكو غابريللي**، **ولورا ڤاتشيا فاغليري** (١٩٣٩).

بالرمو

مركز تعريب صقلي، له تقاليده مع **أمَاري وغرغوريو وكوزا**. ولقد درَّس فيه **نالينو** لبضع سنوات. تعرّض في فترة معينة لخطر الإغلاق، واستعاد كرسي اللغة والآداب العربية الحياة فيه تحت تأثير فرانسيسكو غابرييللي الذي عيّن فيه **اومبرتو ريزيتانو**.

البندقية

في نطاق (الكافوسكاري Ca'Foscari) عيّن المعهد العالي للتجارة **ماريا نالينو** في كرسي العربية، وكانت بحماسها وجدّيتها ترمي إلى توسيع المحاضرة. هذا بالنسبة إلى الكراسي الرسمية، لكن علماء أيطاليين اهتموا ونشروا دراسات متعلّقة بالبلدان العربية وبالمواضيع التراثية، دون أن يرتبطوا بالأجهزة الرسمية أبداً. وفي ايطاليا، هناك، فضلاً عن الجامعات، ما يلي:

معهد الشرق

يحدّد معهد الشرق نفسه على غلاف «الشرق الحديث»: «يهدف معهد الشرق Istituto per l'Oriente إلى الإسهام في نشر واضطراد معرفة الحياة الثقافية والاقتصادية والسياسية في الشرق، لا سيما الشرق الإسلامي، وذلك بإصداره مجلة «Oriente Moderno»، وطبعهِ مؤلفات تعميميّة مستوحاة من المبادىء العلمية الصارمة، وبإنشائه مكتبة خاصة في مركزه (تضم حالياً حوالى ٢٠ ٠٠٠ مجلد) ومكتباً لتلّقي المعلومات واختصار المقالات من الصحافة الدورية باللغة العربية والأوروبية في الشرق، وبتنظيمه المحاضرات والندوات، وتشجيعه اللقاءات في روما بين الشرقيين والإيطاليين».

إن مجلة **الشرق الحديث** هي منجم للمراجع والمعلومات البالغة الأهمية، نظراً لتغطيتها الأمينة للصحافة المحلية مع ملاحظات شرحية ونقدية، ويزيد من أهميتها أيضاً تواصلها.

كما أن معهد الشرق أنشأ فرعاً يهتَّم بتاريخ فن الشرق الأدنى، تصدرُ عن مجلة «Oriens Antiquus».

معهد الشرق الادنى والأقصى (Istituto Per il Medio ed Estermo Oriente)

يهتم أساساً بالشرق الأقصى، تحت إشراف **غيسيب توشي**. كما أنه نظّم محاضرات عن العربية في ميلانو والبندقية، وإنكونا ومسّينا؛ ونشر كتاباً هاماً عن المراجع الخاصة بحضارات الشرق.

مؤسسة كيني (Fandation Cini)

في البندقية، في جزيرة سان جورج، مقابل قصر الدوغ، يقوم **معهد البندقية والشرق** في إطار مؤسسة

جيورجيو كيني، وهو يهدف إلى استئناف دور الوسيط الذي لعبته البندقية في سبيل معرفة أفضل لقيم الشرق الثقافيّة.

ايبالمو (IPALMO)

تأسس الايبالمو (معهد العلاقات بين ايطاليا وبلدان افريقيا وأميركا اللاتينية والشرق الأدنى) في ٨ تموز / يوليو (١٩٧١)، وهو في طريقه للاضطلاع جزئياً بدور **مركز العلاقات الإيطالية العربية** الذي كان ناشطاً جداً في الستينات.

إن كرّاس التقديم يصفه كما يلي: «الايبالمو يهدف إلى ترقية وإنماء العلاقات السياسية، الاقتصادية والثقافية بين إيطاليا وبلدان افريقيا وأميركا اللاتينية والشرق الأدنى (المادة ٢ من أنظمته). قام بمبادرة جماعة من القادة السياسيين وممثلي قوة العمل والثقافة، وهو يرمي لأن يكون أداة حوار وتعاون ملموس مع البلدان النامية، وبنية تحتية ناشطة تسمح بقيام أواصر عضوية ومتواصلة مع مختلف الوقائع السياسية المميَّزة للدول الأفريقية والأميركية اللاتينية ودول الشرق الأدنى».

وجرى في فلورنسا تنظيم ندوة بين (١٤ و ١٦ كانون الأول/ديسمبر ١٩٧٢)، بعنوان «اللقاء بين الثقافة العربية وثقافة أوروبا المتوسطيّة في المرحلة المعاصرة»، بإشراف غيسيب مديشي، الوزير الإيطالي للشؤون الخارجية.

كما انعقد في روما منتدىً حول «حصيلة وآفاق الدراسات العربية في إيطاليا» وذلك بين (٢٥ و٢٦ حزيران/يونيو ١٩٧٤) برعاية فرانكو مالغاتي، رئيس المعهد ووزير التربية الوطنية. وكان جزء من التوصيات يتضمَّن إعادة بناء المراكز الثقافية الإيطالية في الخارج في سبيل تبادل ثقافي أفضل؛ وانفتاح المنشورات الايطالية أمام المسألية العربية في سبيل تكوين رأي عام أكثر تحسساً بالمسائل الثقافية، وإمكان تولي الصناعة الإيطالية (إيني، مونتديسون، فيات) لتعاون اقتصادي وتمويلي في سبيل برنامج اختصاص ومهارة.

★★★

توجهات مبحثية

لم يجر رصد المحفوظات السياسية في المدن والكومونات الإيطالية، رصداً تاماً، كما لم يجر تحليلها بجدّية. وما البندقية وفلورنسا وجنوى سوى الأمثلة الأسطع. فمن المؤكد أنه لم يبدأ الاهتمام بالتاريخ الاقتصادي إلاَّ منذ بروديل ومدرسة الحوليّات؛ وبالتاريخ اليومي إلا منذ لي غوف ورويْ لادوري. وكان ثمة محاولة مثيرة